الفصـــل السابـــع
منظـوره للقضيـة العربيـة

الفكرة العربية فى مصر :

بالرغم من عروبة مصر، بوجود مقومات القومية العربية واضحة من لغـــة وثقافـــة وتاريخ عربى مشترك، فقد وجدت العديد من العوامل التى أثرت فى ظهور الفكـــرة العربيـــة فى مصر وأدت إلى تأخير ظهورها[1]، وهذه العوامل يمكن حصرها فيما يلى :

أولاً : مجىء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ . فقد كان من نتائج هذه الحملة تفجـــر تيار المصرية الإقليمية وعودة المصريين مرة أخرى إلى الشعور بشـــخصيتهم الذاتيـــة المستقلة كما كانوا قبل الفتح العربى الإسلامى لمصر عـــام ٦٤١م ، حيـــث خاطبـــهم بونابرت Bonapart على أنهم أمة متميزة عريقة. فضلاً عـــن هـــذا أصبـــح الفكـــر المصرى يأخذ طابعاً ذاتياً مستقلاً عن الطابع القومى العربى العام وذلك بعد أن جـــاءت الحملة بمصادر جديدة له بدلاً من الثقافة العربية التى كان مســـتمداً منـــها منـــذ الفتـــح العربى، مما مهد لبروز تيار المصرية الإقليمية فى الفترات اللاحقة.

ثانياً : فشل محمد على فى تحقيق المشروع الخاص بتكوين دولة واســـعة الأطـــراف تدخـــل تحتها البلاد العربية نتيجة للتدخل الأوربـــى والـــذى انتـــهى بتســـوية ١٨٤١/٤٠، إذ تحولت سياسته منذ ذلك التاريخ وسياسة خلفائه من بعده إلى العمل – فـــى إطـــار التسوية – على الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية، وهو ما أدخـــل مصـــر فـــى تطور تاريخى مختلف عن بلاد المشرق العربى التى ظلت خاضعة للدولة العثمانيـــة، ولم تعد – أى مصر – تهتم بما يجرى خارج حدودها.

ثالثاً : الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ الذى زاد من العزلة التـــى فرضتـــها التســـوية وأسفرت عن تقوية تيار الوطنية الذى فرض نفسه على الساحة لفترة غـــير قصـــيرة، ومن ثم أصبح بعيداً عن التيارات الأخرى فى العالم العربى، أضف إلى هذا مـــا أدى إليه ذلك الاحتلال من تركز القضية المصرية حول مواجهـــة الوجـــود البريطـــانى، وتطلعت مصر فى سبيل ذلك إلى معاونـــة الدولـــة العثمانيـــة التـــى كـــانت تجـــد

---

(١) نبيه بيومى عبدالله، تطور فكرة القومية العربية فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـــاهرة، ١٩٧٥، ص ٨ .

الاضطرابات مع الشام، وعليه كان التناقض مع مصر، مما أدى إلى تأخر ظهور الفكرة العربية فيها[٢]. أيضاً فقد حاول الاحتلال البريطانى أن يخلق وضعاً يحد فيه من تأصل القومية عن طريق إقصاء اللغة العربية وذلك بتشجيع اللغة العامية، ولم يلق هذا رواجاً كبيراً لكنه نتج عنه وجود تيار إقليمى فى مصر[٣].

رابعاً : اقتران معنى كلمة عربى لدى المصريين بالبداوة، وهو ما ربطوه بالفكرة العربية، مما كان سبباً فى تأخر مصر عن الأخذ بها[٤] .

خامساً : ما شهدته فترة الاحتلال البريطانى من هجرة متزايدة للمثقفين الشوام، وقد انقسم هؤلاء المهاجرون إلى فريقين : فريق تعاون مع الاحتلال، وفريق انعزل عن القضية المصرية وحصر اهتمامه فى المشرق العربى، وكان لموقف الفريقين أثره فى تحويل أنظار المصريين عن الفكرة العربية[٥].

وقد أتاح هذا التأخر لظهور الفكرة العربية فى مصر المجال واسعاً أمام تيارات وأفكار أخرى سادت بعض الوقت، تلك التيارات التى تمثلت فى التيار الإسلامى (الجامعة الإسلامية)، وتيار القومية المصرية بفرعيه الوطنى والفرعونى، وتيار البحر المتوسط، وتيار وحدة وادى النيل، وهو ما أثر تأثيراً واضحاً على وضعية الفكرة العربية فى مصر فى مطلع القرن العشرين، وبالتحديد خلال العقدين الأولين منه، لدرجة أن هذه الفكرة تكاد تكون مختفية فى تلك الفترة[٦].

ومع نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات بدأت الفكرة العربية فى الظهور ثم النمو تدريجياً حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، وقبل بيان العوامل التى أدت إلى هذا، ينبغى الإشارة إلى أن المناخ كان قد تهيأ من قبل لتلك الفكرة، فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سقطت الخلافة العثمانية، والتى فى إطارها نشأت دعوة الجامعة الإسلامية، مما كان يعوق ظهور الفكرة العربية[٧]، كما خضعت غالبية البلاد العربية للنفوذ الأنجلوفرنسى، فتماثلت ظروف

---

(٢) فؤاد المرسى خاطر، حول الفكرة العربية فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ٢٥ – ٢٧، ٣٠، ٣٤-٣٦ .

(٣) ذوقان قرقوط، تطور الفكرة العربية فى مصر ١٨٠٥ – ١٩٣٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٢٤ .

(٤) فؤاد المرسى خاطر، المرجع المذكور، ص ٤٠ .

(٥) صلاح العقاد، الفكرة العربية فى مصر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بحث فى الموسم الثقافى ١٩٧٢ / ١٩٧٣، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٥٣ .

(٦) فؤاد المرسى خاطر، المرجع المذكور، ص ص ٤٠،٤١،٥٤،٧٠ .

(٧) المرجع نفسه، ص ٨٠ .

شعوبها، وأخذت الثورات تنشب تباعا بها : فى مصـــر، والعـراق، وسـوريا، وفلسـطين، وتونس، والجزائر، والمغرب، فقربت روح الجهاد بين كل هذه الشعوب، ثم برزت القضيـــة الفلسطينية فكان لها الأثر الحاسم فى تجميع المجهود العربى، وفى اجتذاب مصر خاصة إلـى حقل القومية العربية(٨).

أما عن العوامل التى أدت إلى ظهور الفكرة العربية فى مصر ثـم نموهـا تدريجيـاً فيمكن حصرها فى الآتى :

أولاً : الجمعيات والروابط والاتحادات التى تكونت خلال هذه الفترة وعملت للوحدة العربيـة. وكان منها جمعية الشبان المسلمين التى تأسست عام ١٩٢٧، فقـد نـادت بالقوميـة والوحدة العربية على أن يعقبها وحدة إسلامية فى ضوء إدراكها أن الوحـدة الأخـيرة أمل بعيد التحقيق، ويمكن أن تكون الوحدة العربية خطوة نحو تحقيقها. وكان للجمعيـة خطوات عملية فى المجال العربى، حيث أقامت فروعاً لها فـى فلسـطين وسـوريا والعراق، كما قامت بدور بارز فى الدفاع عن القضايا العربية، وهو مـا تجلـى فـى مظاهر عديدة كعقد مؤتمر جمعيات الشبان المسلمين فى مصر وفلسطين عـام ١٩٣٠ بهدف الدفاع عن حق العرب فى حائط البراق فى ضوء الأحداث التى وقعـت بيـن العرب واليهود عام ١٩٢٩ حول الحائط المذكور، ومقاومة السياسة الفرنسـية التـى هدفت إلى محو عروبة مراكش عن طريق إحياء الثقافة البربرية، وجمـع التبرعـات للمجاهدين وأسر الشهداء فى ليبيا، وغير ذلك من الأعمال الأخرى(٩).

أيضاً هناك جماعة الإخوان المسلمين التى تأسست عام ١٩٢٨، وهذه الجماعة - رغم أنها إسلامية فى الأساس مثل جمعية الشبان المسلمين - لعبت دوراً كبيراً فى إحيـاء الفكـرة العربية من خلال كونها تنظيماً سياسياً آمن بالعروبة على أساس أنها مرحلة ضرورية مهمـة من مراحل الجامعة الإسلامية،وأهم ما يظهر من نشاط الجماعة العربى ما أعطته من اهتمـام للقضية الفلسطينية، فقد أسست عدة لجان مصرية لتأييد المجاهدين الفلسطينيين وجمع الأمـوال وشراء الأسلحة وإرسالها لهم، وفى ذكرى وعد بلفور فى الثانى مـن نوفمـبر عـام ١٩٤٥ قادت مظاهرات عنيفة تعبيراً منها عن اهتمام الشعب المصرى بالقضية، وكان للجماعة بذلـك

---

(٨) عبدالعظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية فى مصر، جـ٤، ١٩٣٩ - ١٩٤٥، ص ص ٣٣٥، ٣٣٦.

(٩) فؤاد المرسى خاطر، المرجع المذكور، ص ص ٨٥، ٨٦؛ نبية بيومى عبدالله، تطور فكرة القوميـة العربية فى مصر ، ص ١٧٦.

دور فى تهيئة المصريين لفكرة الحرب فى فلسطين عام ١٩٤٨، تلك الحرب التى شارك فيها عدد كبير من الإخوان المسلمين(١٠).

ومن النماذج الأخرى التى أسهمت فى تزايد الوعى القومى العربى فى مصر الرابطة العربية التى تأسست عام ١٩٣٦ ، فقد حددت أهدافها فى العمل على نشر الثقافة العربية بكل الوسائل الممكنة والمشروعة، وتوثيق الروابط والعلاقات العلمية والاجتماعية والاقتصادية بين مصر وسائر البلاد العربية وعدم التدخل فى أية مناقشات سياسية أو دينية(١١).

وقد تلا تأسيس الرابطة السابقة تأسيس جماعة الوحدة العربية عام ١٩٣٨ التى بلورت أغراضها فى العمل للوحدة العربية باتحاد روحى وثقافى وأخوى، ونشر الروح الطيبة بين أبناء العروبة، والعمل على تعاون جميع البلاد العربية من الناحيتين الأدبية والمادية، وبث روح التعاون بين أبناء العروبة بالرحلات والنشرات والمؤلفات. وقد أسهمت تلك الجماعة فى تنمية الوعى القومى العربى بمصر من خلال إقامة المهرجانات وعقد المحاضرات والندوات(١٢).

كذلك كان هناك الاتحاد العربى الذى تأسس فى مايو ١٩٤٢، وكان من بين أهدافه التى وجه نشاطه لتحقيقها تنمية العلاقات وتقوية الروابط بين البلاد العربية والدفاع عن حقوقها، والعمل على إنشاء أندية له فى تلك البلاد لنشر مبادئه وتحقيق أغراضه. ومن أبرز أعمال الاتحاد - فى المجال العربى - دفاعه عن حق سوريا ولبنان فى تقرير مصيرهما فى الحرية والاستقلال وتأييده المستمر للقضية الفلسطينية(١٣).

أيضاً من الجماعات التى كان لها دور فى زيادة الوعى بالقومية العربية فى مصر جماعة أدباء العروبة التى شكلها مجموعة من الأدباء والمفكرين فى العالم العربى، واختيرت مصر مقراً لها، وقد وجهت تلك الجماعة نشاطها نحو تحقيق هدف تدعيم الصلات الثقافية بين الدول العربية، وتحقيق وحدة الفكر العربى واستقلاله(١٤).

---

(١٠) فؤاد المرسى خاطر، المرجع المذكور، ص ص ٨٧ - ٨٩ .
(١١) نبيه بيومى عبدالله، تطور فكرة القومية العربية فى مصر، ص ص ١٧٧ ، ١٧٨ .
(١٢) المرجع نفسه، ص ١٧٨ .
(١٣) فؤاد المرسى خاطر، المرجع المذكور، ص ٩١؛ عبدالعظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية فى مصر، جـ٤، ١٩٣٩ - ١٩٤٥، ص ص ٣٥٣، ٣٥٤ .
(١٤) فؤاد المرسى خاطر، المرجع المذكور، ص ص ٩٢، ٩٣ .

وقد وجد إلى جانب هذه الجمعيات والروابط تنظيمان سياسيان أسهما فى طرح الفكرة العربية فى مصر، وهما حزب مصر الفتاة، وهو يعد أول حزب سياسى مصرى نص فى برنامجه على فكرة العروبة، وتنظيم جبهة مصر - تأسس فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٦ من على ماهر وبعض الوزراء والنواب المستقلين- الذى تضمن برنامجه الدعوة إلى تدعيم الجامعة العربية بتمكين أواصر المودة بين شعوبها والدفاع عن حريتها وتحقيق التعاون بين دولها فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية[١٥].

ثانياً : إنشاء المجمع اللغوى العربى عام ١٩٣٢ وضم إليه أدباء وعلماء ينتسبون إلى مختلف البلاد العربية، وبعث مصر بمعلميها وخبرائها إلى هذه الدول، ودعوتها إلى عقد المؤتمرات العربية[١٦].

ثالثاً : توقيع معاهدة ١٩٣٦ والتى أعطت مصر قدراً من حرية التحرك فى الخارج خاصة فى العالم العربى، بالإضافة إلى أن بلاد المشرق العربى كانت هى الأخرى قد بدأت فى الحصول على نصيب من استقلالها، مما أتاح الفرصة إلى تزايد الاتصالات بينها وبين مصر[١٧].

رابعاً : التطورات التى طرأت على القضية الفلسطينية والتى كان من شأنها إعطاء دفعة قوية للفكرة العربية فى مصر إلى الأمام[١٨].

خامساً : ازدياد التقارب على الصعيد الرسمى بين الحكومات العربية، ففى ٢٠ مايو ١٩٣٤ وقعت معاهدة الطائف بين المملكة العربية السعودية واليمن عقب الحرب التى قامت بينهما، وفى ٢ أبريل ١٩٣٦ وقعت فى بغداد معاهدة بين العربية السعودية والعراق اتسمت بطابع العروبة ونص فيها على روابط الدين الإسلامى ووحدة الجنس والوحدة العربية، وفى ٦ مايو من العام نفسه وقعت معاهدة صداقة بين مصر والعربية السعودية أشير فيها إلى التضامن والتعاون بين البلدين، وفى ١٩ أبريل ١٩٣٧ انضمت اليمن إلى معاهدة الصداقة والتحالف بين السعودية والعراق، كما عقدت بعد ثلاثة أيام بين سوريا والعراق معاهدة حسن جوار[١٩].

---

(١٥) المرجع نفسه، ص ص ٩٤، ٩٩، ١٢٧ .

(١٦)محمد رفعت، التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة،دار المعارف،القاهرة، ١٩٦٤، ص ٨٢ .

(١٧) فواد المرسى خاطر، المرجع المذكور، ص ٩٩ .

(١٨) المرجع نفسه، ص ص ١٠٨ -١١١ .

(١٩) محمود كامل، عروبتنا، دار المعارف بمصر، سبتمبر ١٩٦٤، ص ص ١٤٠ - ١٤٤ . مزيد من التفاصيل عن هذه المعاهدات راجع : أحمد طربين، الوحدة العربية بين ١٩١٦ - ١٩٤٥، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٧،ص ص ١١٩، ١٢٠، ١٤٧-١٥١، ١٦٧ .

سادساً : قيام جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥، فقد كان لذلك أثره الكبير فى دعم وتقوية الوعى القومى العربى فى مصر(٢٠).

ذلك هو مسار الفكرة العربية فى مصر، فقد ظلت غير واضحة حتى نهاية العقد الثانى من القرن العشرين، ثم بدأت فى الظهور والنمو تدريجياً خلال الثلاثينيات، وقد برزت بصورة واضحة على أثر قيام الجامعة العربية، ثم تأكدت بعد ذلك بصفة رسمية مع ثورة يوليو ١٩٥٢* .

تطور التوجه العربى فى فكر هيكل :

اتبع هيكل أسلوب أستاذه أحمد لطفى السيد فيما يختص بترسيخ تيار القومية المصرية، وهو ما ظهر بصورة واضحة فى سلسلة مقالاته التى نشرت بالجريدة عام ١٩١١ تحت عنوان "وجهتنا السياسية"(٢١). وحينما تلون هذا التيار فيما بعد باللون الفرعونى عقب اكتشاف الآثار المصرية وبخاصة مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ تحمس له هيكل وأخذ يدعو إليه، حتى أصبح كما يرى البعض(٢٢) أكثر صائغى هذا الاتجاه أهمية فى العشرينيات. وهو ما تؤكده كتاباته فى صحيفة السياسة اليومية فى النصف الأول من العقد الثانى للقرن العشرين(٢٣)، والسياسة الأسبوعية منذ ظهورها عام ١٩٢٦ وحتى نهاية العقد المذكور(٢٤). تلك الكتابات التى تدل على انبهاره بآثار مصر القديمة وحضارتها.

بيد أننا نلحظ فى كتاباته وأحاديثه فى السنوات الأربع الأخيرة من العشرينيات ما يدل على وجود بعض التوجهات العربية لديه، فهو يشير فى الاحتفال الذى أقيم فى مارس عام ١٩٢٧ بدخول صحيفة السياسة الأسبوعية عامها الثانى إلى أنها لم تنشأ لتكون صحيفة

---

(٢٠) فؤاد المرسى خاطر، المرجع المذكور، ص ص ١١١، ١١٩ .

* نص فى المادة ١ من الدستور المصرى الذى صدر فى يناير ١٩٥٦ على : "مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة. وهى ديمقراطية والشعب جزء من الأمة العربية." الوقائع المصرية، ١٩٥٦/١/١٦ .

(٢١) أحمد زكريا الشلق، حزب الأمة ودوره فى السياسة المصرية، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص ص ٢٣٢، ٢٣٣ .

(٢٢) ج.جانكوفسكى، أ. جرشون، المرجع المذكور، ص ١٣٠ .

(٢٣) عن هذه الكتابات الخاصة بالحديث عن آثار الفراعنة وحضارتهم انظر : محمد حسين هيكل، فى أوقات الفراغ، ص ص ٢٥٠ – ٣٠٦ .

(٢٤) السياسة الأسبوعية، ١٩٢٦/١١/٢٧ (مصر الحديثة ومصر القديمة)، ١٩٢٧/١٢/١٧ (الفن المصرى)، ١٩٢٨/١/٧ (هل من خطوة جديدة فى سبيل الفن المصرى)، ١٩٢٨/١٢/٢٢ (تاريخ مصر وآدابها لا يدرسان حتى اليوم فى الجامعة المصرية).

مصرية فقط، بل لتكون أيضا وسيلة للربط بين بلاد الشرق العربي وجميع المتكلمين بالعربية[٢٥]، وفى نوفمبر من العام نفسه كتب مشيدا بازدياد توثق العلاقات والروابط بين مصر وأمم الشرق العربى[٢٦]، كما أشاد فى الشهر التالى بمناسبة الاستقبال الذى أعد فى مصر للملك فيصل ملك العراق عند مروره بها عائدا من أوربا بحرص مصر الدائم على علاقات المودة والألفة مع بلاد الشرق العربى " المرتبطة وإياها بأواصر قربى غاية فى المتانة وترجع فى التاريخ إلى أزمان بعيدة"[٢٧]، وأخذ يعدد مظاهر التقارب التى تمت بين مصر والبلاد العربية حتى ذلك الوقت كالمشاركة من جانب نقابة الصحافة المصرية فى الاحتفال بيوبيل صحيفة لسان الحال اللبنانية، وكذا مشاركة بلاد الشرق العربى مصر احتفالها بيوبيل صحيفة المقتطف [٢٨]، وفى نوفمبر من العام التالى تولى هيكل الدعوة إلى عقد مؤتمرات دورية تجمع بين المثقفين العرب بغرض تبادل المعلومات والأفكار والقضاء على العزلة الموجودة بينهم [٢٩].

وقد أخذ هذا التوجه العربى لدى هيكل يتنامى تدريجياً خلال فترة الثلاثينيات، وهو ما ظهر بصورة واضحة حينما نشبت الثورة الكبرى بفلسطين فى أبريل ١٩٣٦ [٣٠]، كما تجلى بشكل أكثر وضوحا أثناء وجوده بوزارة المعارف العمومية، إذ إنه وافق على ما دعا إليه محمد العشماوى وكيل أول الوزارة من تقريب مناهج التعليم بين مصر والبلاد العربية، كما أنشأت الوزارة فرعا خاصاً ليكون على اتصال دائم بتلك البلاد لمتابعة النهضة الثقافية بها [٣١]، هذا فضلا عن إرسال المعلمين الأكفاء وأساتذة الجامعة للتدريس بتلك البلاد وذلك توثيقاً للأواصر بينها وبين مصر [٣٢].

---

(٢٥) المصدر نفسه، ١٩٢٧/٣/٢٦ (عيد السياسة الأسبوعية بدخولها عامها الثانى الجديد).
(٢٦) المصدر نفسه، ١٩٢٧/١١/١٩ (مصر وجاراتها الشرقية).
(٢٧) المصدر نفسه، ١٩٢٧/١٢/١٧ (مصر وجاراتها الشرقية – ملك العراق فى مصر – نقابة الصحافة المصرية ويوبيل لسان الحال اللبنانية).
(٢٨) المصدر نفسه.
(٢٩) المصدر نفسه، ١٩٢٨/١١/٢٤ (عزلة الأدباء والمفكرين فى الشرق العربى، المؤتمرات التى تجمع ممثلى هذه البلاد خير علاج للعزلة).
(٣٠) عن موقف هيكل من تلك الثورة انظر : هذا الفصل، ص ٣٥٤ .
(٣١) نبيه بيومى عبدالله، تطور فكرة القومية العربية فى مصر، ص ص ٨٧، ٨٨ .
(٣٢) مجلس النواب، الهيئة النيابية السابعة، دور الانعقاد العادى الثانى، الجلسة الثالثة عشرة، ١٩٣٨/١٢/٢٧، ص ٤٢٣ .

ويلاحظ على ما سبق أن الوحدة العربية من الناحية السياسية لم ترد فى ذهن هيكل، وكان ذلك عن قصد، حيث رأى أن ظروف العالم العربى فى ظل ما يعانيه من تواجد أجنبى بأراضيه لا تسمح بهذا النوع من أنواع الوحدة، وقد ذهب بشأن عدم تحقيق هذه الوحدة إلى حد القول "بأن ما يبذل من المجهودات فى هذا السبيل أجدر به أن يؤخر الصلات بين الأمم الشرقية لا أن يقدمها"[٣٣]، وكان من رأيه أن أقرب الصلات فى ظل الوضع القائم هى الصلات الثقافية التى اعتبرها الطريق الطبيعى لما يمكن تحقيقه بين البلاد العربية من صور الوحدة[٣٤].

ومن هذا المنطلق جاء انتقاد هيكل لما قام به النحاس فى عام ١٩٤٣ من دعوة مندوبى الدول العربية ومفاوضتهم فى قيام وحدة عربية على أثر ما صرح به إيدن Eden وزير الخارجية البريطانية فى ٢٤ فبراير من العام المذكور من استعداد الحكومة البريطانية للنظر بعين العطف للوحدة العربية إذا وضعت البلاد العربية بنفسها دستور هذه الوحدة، وكانت وجهة نظر هيكل أن التواجد الأجنبى مازال قائماً بالبلاد العربية، وبالتالى فلا يمكن قيام وحدة سياسية بينها وهى لا تملك حرية التصرف فى شئونها[٣٥].

ورغم هذا، اشترك هيكل فى توقيع ميثاق الجامعة العربية فى ٢٢ مارس ١٩٤٥[٣٦]، كما أيد مشروع القانون الخاص بالموافقة على هذا الميثاق عند عرضه على مجلس الشيوخ[٣٧]، وتضمنت خطبه وأحاديثه بعد ذلك ما يدل على اهتمامه بقضية الوحدة والتضامن العربى والفائدة التى تعود على البلاد من وراء ذلك[٣٨]، وفضلاً عن هذا كان صاحب اقتراح إنشاء اتحاد برلمانى عربى فى نطاق الاتحاد البرلمانى الدولى، و أعد بالتعاون مع أعضاء الشعبة البرلمانية المصرية مشروع نظامه ولائحته الداخلية، وتم

---

(٣٣) السياسة، ملحق عدد ١٩٣٢/٩/١٧ (بين مصر وبلاد الشرق العربى). يتضح مما هو بين الأقواس أن هيكل يقصد بالأمم الشرقية دول العالم العربى مشرقه ومغربه وليس المشرق فقط كما يوحى اللفظ. جدير بالذكر أيضاً أنه كان يدخل فى بعض الأحيان عند حديثه عن أمم الشرق العربى بعض الدول غير العربية ضمن هذه الأمم كالحبشة مثلاً كما هو موجود فى مقاله بالسياسية الأسبوعية تحت عنوان " مصر وجاراتها الشرقية" بتاريخ ١٩٢٧/١١/١٩ .

(٣٤) السياسة، ١٩٣٣/٦/١١ (المفاضلة بين الشعوب العربية وهل هى سياسة مرسومة لغاية معينة).

(٣٥) أوراق د.هيكل، الملف الثالث، من خطبة هيكل فى ذكرى عيد الجهاد فى ١٣ نوفمبر ١٩٤٧، ص ٧ .

(٣٦) جامعة الدول العربية، النص الأصلى لميثاق جامعة الدول العربية، ٢٢ مارس ١٩٤٥ .

(٣٧) مجلس الشيوخ، دور الانعقاد العادى العشرين، الجلسة الثانية عشرة، ١٩٤٥/٤/٣، ص ص ٢٠٢، ٢٠٣

(٣٨) السياسة، ١٩٤٥/٩/٢٥ (الخطبة الخطيرة التى ألقاها أمس زعيم الأحرار الدكتور هيكل باشا)؛ جامعة الدول العربية، دورة الاجتماع الرابعة غير العادية، الجلسة الخامسة، ١٩٤٦/٦/١١، ص ٦٨ .

إقرارهما، وأصبح الاتحاد حقيقة واقعة فى أغسطس ١٩٤٨[٣٩]، وقد عقد مؤتمره الأول بمدينة القاهرة فى ديسمبر من العام نفسه برئاسة هيكل الذى تم اختياره ليكون رئيساً للجنة التنفيذية للاتحاد[٤٠].

ويبدو أن هذا التطور فى التوجه العربى لدى هيكل منذ عام ١٩٤٥ ارتبط بنشاطاته كرئيس لمجلس الشيوخ أكثر من ارتباطه بالإيمان بالوحدة العربية، يؤكد ذلك مناشدته حكومة الوفد فى ديسمبر ١٩٥٠ - وكان قد ترك رئاسة مجلس الشيوخ- عدم الموافقة على معاهدة الضمان الجماعى* والإبقاء على الجنود المصريين على حدود مصر للدفاع عنها وعدم الزج بهم إلى الخارج، ومطالبته لها بألا تكون مهما اشتد حرصها على حسن العلاقات مع البلاد العربية أقل حرصاً على حسن العلاقات مع الدول غير العربية، كما رجا ممثلى مصر فى الجامعة العربية أن يكونوا فى حدود الدفاع عن حقوق مصر ومصالحها عند عرض أية مشكلات على الجامعة لبحثها[٤١]. ومما لاشك فيه أن الموقف المتخاذل للجيوش العربية من الجيش المصرى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كان له تأثيره فى هاذ التوجه لدى هيكل.

وبذلك يتبين أن توجه هيكل العربى ظهر مع ظهور الفكرة العربية فى مصر، وأخذ يتنامى تدريجياً مثلها تماماً من فترة إلى أخرى، وهو ما يجعلنا نميل إلى أن هذا التوجه لم يكن نابعاً من داخله بقدر ما جاء بتأثير المناخ العام الذى تهيأ فى مصر للفكرة العربية، غير أنه - أى هيكل - ظل مستبعداً تحقيق وحدة سياسية حقيقية بين البلاد العربية، ومن ثم كان تركيزه على الوحدة الثقافية والتى رأى أن من شأنها زيادة القدرة على التعاون والتفاهم بين تلك البلاد.

---

(٣٩) السياسة، ١٩٤٨/٢/٢٢ (الاتحاد البرلمانى العربى وحفلة الرئيس هيكل باشا)؛ الأهرام، ١٩٤٨/٨/٢٠ (خطاب هيكل باشا)، ١٩٤٨/٨/٢٢.

(٤٠) السياسة، ١٩٤٨/١٢/٢٣ (انتخاب الرئيس هيكل باشا رئيساً للمؤتمر البرلمانى).

* هى معاهدة للدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين البلاد العربية. لمزيد من التفاصيل انظر : محمد رفعت، المرجع المذكور، ص ص ٣٦٠ - ٣٦٢.

(٤١) مجلس الشيوخ، دور الانعقاد العادى السادس والعشرين، الجلسة الخامسة، ١٩٥٠/١٢/٢٥، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٨. جدير بالذكر أن هيكل ظل حتى الأعوام الأخيرة فى حياته ينتقد سياسة جامعة الدول العربية وأسلوبها فى العمل. عن ذلك انظر : أخبار اليوم، ١٩٥٥/١/٢٢ (هل فشلت الجامعة العربية؟).

بعض القضايا العربية التى شغلت اهتمامات هيكل :

شهدت المنطقة العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين خاصة فترة الثلاثينيات والأربعينيات أحداثاً جساماً تمثلت فى القضية الفلسطينية، وصراعات الدول العربية مع التواجد الأجنبى، فضلاً عما مرت به بعض هذه الدول من منازعات داخلية تتعلق بالسلطة وما يتصل بها. وقد حظيت هذه الأحداث باهتمام السياسيين والمثقفين، وكان هيكل أحد هؤلاء. غير أننا نلاحظ أن اهتمامه – فيما يخص المشرق العربى – تركز حول ثلاث مسائل رئيسية هى : القضية الفلسطينية، والنزاع المصرى الحجازى خلال الفترة (١٩٢٣ – ١٩٣٦)، والاعتداء الفرنسى على سوريا ولبنان فى مايو ١٩٤٥ . وسوف نعرض فيما يلى لموقفه من هذه المسائل كل على حدة.

أولاً : القضية الفلسطينية :

بدأ موقف هيكل من القضية الفلسطينية مع نهاية العشرينيات وأوائل الثلاثينيات، إذ اتسم بعدم التحيز سواء للفلسطينيين أو للحركة الصهيونية، فقد سجل فى مذكراته أن أحد اليهود جاءه بصحيفة السياسة وطلب إليه تأييد الحركة الصهيونية، فرفض ذلك بحجة أن الصحيفة صحيفة حزبية طابعها إسلامى، كما أن تأييدها للصهيونية لا يتفق مع مبادئ حزب الأحرار الدستوريين، فضلاً عن أن مصر تساند البلاد العربية فى مطالبتها بالاستقلال وحق تقرير المصير، فإذا أيدت السياسة أية حركة ضد العرب فقدت كثيراً مما لها من نفوذ(٤٢).

أيضاً هناك موقف آخر تمثل فيما كتبه بصحيفة السياسة الأسبوعية فى ١٤ يونية ١٩٣٠ تحت عنوان "اليهود والعرب فى فلسطين السبب الحقيقى لمشكلتهم" تعليقاً على أحداث ثورة عام ١٩٢٩ فى فلسطين، حيث أشار إلى علاقات المودة والتفاهم التى جمعت بين المسلمين واليهود منذ فترات بعيدة فى التاريخ، كما ذهب إلى أن ماحدث فى فلسطين من ثورات وانتفاضات فى السنوات الأخيرة ليست إلا بسبب تدخل البريطانيين الذين أقلقهم حدوث تفاهم بين مسلمى ويهود العالم، فكان ما كان من سياستهم التى أدت إلى وقوع هذه الأحداث، وفى النهاية دعا هيكل العرب واليهود فى فلسطين إلى حل مشاكلهم مع بعضهم البعض دون تدخل من سلطة الانتداب البريطانى، وبالتالى لا يصبح هناك محل لأهداف السياسة البريطانية(٤٣).

---

(٤٢) محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، جـ٣، ص ١٣ .

(٤٣)السياسة الأسبوعية، ١٤/٦/١٩٣٠ (اليهود والعرب فى فلسطين السبب الحقيقى لمشكلتهم).
جدير بالذكر أن صحيفة إسرائيل الصهيونية التى كانت تصدر فى مصر وقتذاك أشادت بهذا=

والذى نخلص إليه أن هيكل حتى أوائل الثلاثينيات لم يبد من جانبه أى تعاطف إزاء الحقوق الفلسطينية، وهو نفس الخط الذى سار عليه زملاؤه فى تحرير صحيفة السياسة آنئذ فى كتاباتهم المتعلقة بفلسطين والأحداث الجارية فيها(٤٤).

ومع نمو التيار العربى فى مصر خلال فترة الثلاثينيات بدأ تعاطف هيكل وميله نحو القضية الفلسطينية فى الظهور، وهو ما وضح جلياً أثناء الثورة الكبرى للفلسطينيين فى أبريل عام ١٩٣٦، إذ أخذ يحث المصريين على تقديم المعونة للشعب الفلسطينى، كما انتقد الموقف غير الجدى للعرب من القضية، ووجه اللوم لدول أوربا دعاة السلام فى العالم لعدم تحركهم لحلها(٤٥). وفى هذا الإطار من اهتمام هيكل بالقضية الفلسطينية جاءت زيارته لفلسطين فى منتصف عام ١٩٣٧ ولقاؤه بزعماء المقاومة فيها(٤٦)، كما كان تقدمه باستجواب فى مجلس الشيوخ لحكومة النحاس الثالثة (٩ مايو ١٩٣٦ - ٣١ يوليو ١٩٣٧) بشأن موقفها إزاء الوضع فى فلسطين لمناسبة تقرير لجنة بيل البريطانية الخاص بتقسيم فلسطين(٤٧).

وتمضى أحداث القضية الفلسطينية فى طريقها، ويزداد الاهتمام العربى بها مع إنشاء جامعة الدول العربية فى مارس ١٩٤٥ التى تولت مسئولية الدفاع عنها منذ ذلك الوقت، وكان لهيكل نصيب فى هذا الدفاع من خلال عضويته بمجلس الجامعة*، فقد شارك المجلس موافقته على مذكرة إحدى لجانه - كان قد تم تشكيل هذه اللجنة فى ٨ نوفمبر ١٩٤٥ للبحث فى قضية فلسطين - إلى حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا والتى يطالب فيها بعدم اتخاذ

=المقال باعتباره خير ما كتب حتى ذلك الوقت - أى وقت كتابته - باللغة العربية بأسلوب برىء من الهوى فى شأن القضية الفلسطينية. طارق البشرى، المرجع المذكور، ص ٢٣٨؛ عواطف عبدالرحمن، مصر و فلسطين، المجلس الوطنى للثقافة والفنون الآداب،الكويت، ١٩٨٠، ص ١٢٩ . يلاحظ أن صحيفة اسرائيل غير موجودة فى مخازن الدوريات بدار الكتب.

(٤٤)السياسة، ١٩٢٩/٨/٢٨ (حوادث فلسطين والشئون المصرية)، ١٩٢٩/٨/٣١(عبرة المأساة الفلسطينية).

(٤٥) المصدر نفسه، ١٩٣٦/٢/٢٧ (مصر وحوادث فلسطين وهل لنا سياسة ذاتية للمستقبل)، ١٩٣٦/٦/١ (فلسطين أرض الشهداء والجريمة التى تتكرر اليوم على أرضها)، ١٩٣٦/٦/٨ (السياسة الصهيونية البريطانية إثم تنكره الأخلاق الإنسانية)، ١٩٣٦/٦/١٥ (أين أنصار الإنسانية يقفون فى صف فلسطين الشهيدة).

(٤٦) **محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، جـ١، ص ص ٣٥٢، ٣٥٤ .**

(٤٧) مجلس الشيوخ، دور الانعقاد العادى الثانى عشر، الجلسة السادسة والثلاثون، ١٩٣٧/٧/٢٠، ص ص ٧٠٣، ٧٠٤؛ السياسة الأسبوعية ١٩٣٧/٧/١٧ . وعن لجنة بيل وما انتهت إليه انظر : صلاح العقاد، المشرق العربى المعاصر، ص ص ٣١٩ - ٣٢٢ .

* ظل هيكل عضواً بالمجلس خلال الفترة (١٩٤٥ - ١٩٥٠).

أى قرار يتعلق بالهجرة اليهودية إلى فلسطين أو يمس أية تسوية للقضية الفلسطينية دون مشاورة الدول العربية وموافقتها(٤٨)، وذلك رداً على ما طالب به رئيس الولايات المتحدة ترومان Truman فى العام المذكور الحكومة البريطانية من فتح أبواب الهجرة غير المحدودة إلى فلسطين أمام اليهود، كما توجه هيكل بالدعوة لمناسبة نظر مجلس الجامعة فى ١٤ ديسمبر مسألة الدعاية لفلسطين على أثر الإعلان فى لندن وواشنطن عن تشكيل لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية لبحث مسألة يهود أوربا والقيام باستعراض لقضية فلسطين، توجه بالدعوة للحكومات العربية ببذل المعونة اللازمة لمسألة الدعاية المذكورة(٤٩). هذا وقد تـوأس وفد مصر فى الاجتماع غير العادى للجامعة العربية الذى عقد فى بلودان بسوريا خلال الفترة (٨ - ١٢ يونية ١٩٤٦) للنظر فى تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية المشار إليها - كان التقرير قد جاء منحازاً تماماً للصهيونية -ووضع الخطة إزاء الوضع فى فلسطين(٥٠).

وبعد أن أحالت بريطانيا القضية إلى هيئة الأمم المتحدة فى أوائل أبريل ١٩٤٧ للفصل فيها بعد فشلها فى التوصل إلى حل بشأنها(٥١). واصل هيكل دفاعه عنها بنيويورك حيث رأس وفد مصر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها العادية الثانية فى الفترة (١٦ سبتمبر - ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧)، فشارك فى الاتصالات التى جرت بين رؤساء الوفود العربية والمسئولين فى الدوائر الأمريكية والبريطانيه المعنية بالقضية(٥٢)، كما اشترك مع تلك الوفود فيما قامت به من نشاط من أجل كسب الأنصار لإسقاط مشروع التقسيم الذى أوصت به لجنة التحقيق الدولية التى شكلت بقرار من الجمعية العامة فى أبريل ١٩٤٧(٥٣).

وقد تردد صوت هيكل فى الدفاع عن القضية أثناء اجتماعات اللجنة الخاصة بفلسطين فى الجمعية العامة، فأشار بعدم اختصاص الأمم المتحدة بالفصل فى إنشاء دولة

---

(٤٨) جامعة الدول العربية، دور الاجتماع العادى الثانى، الجلسة الخامسة، ١٩٤٥/١١/١٠، ص ص ٩٣، ٩٧، ٩٨، ١٠٢ .

(٤٩) المصدر نفسه، الجلسة الرابعة عشرة، ١٤ ديسمبر ١٩٤٥، ص ص٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٥٠) المصدر نفسه، دورة الاجتماع الرابعة غير العادية، الجلسات من الأولى حتى السابعة، ٨ - ١٢ يونية ١٩٤٦ .

(٥١) شفيق الرشيدات، فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً، المؤسسة العربية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، فرع مصر، ١٩٦٨، ص ١٨٩ .

(٥٢) محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، جـ٣، ص ص ٢٩، ٣١، ٣٢ .

(٥٣) المصدر نفسه، ص ص ٣٠، ٣١، ٣٧، ٣٨ . وعن تفاصيل ما جاء فى تقرير اللجنة المشار إليها والذى رفعته إلى الجمعية العامة فى أكتوبر ١٩٤٧ انظر : صلاح العقاد، المشرق العربى المعاصر، ص ص٣٥٦ - ٣٥٨ .

يهودية أو تقسيم أية أمة إلى دولتين واستند فى ذلك إلى ميثاق الهيئة حيث ذكر " وإذا كنا نستمد سلطاتنا من الميثاق وحده، فليست لنا إذن أية قوة خارج نطاقه، وعلى الذين يزعمون أن فى مقدورنا - بقرار من الجمعية العامة - خلق دولة جديدة، أو تقسيم أمة إلى دولتين، أن يتفضلوا ويدلونا أولا على النص الصريح الذى يستندون إليه"[٥٤]، وبين هيكل أن الحديث فى الأمم المتحدة عن وجود مشكلة يهودية فيه خرق للميثاق الذى ينص فى مادته الثالثة عشرة على أنه يجب " أن نيسر للجميع - دون تمييز فى الجنس، أو النوع، أو اللغة، أو الدين- التمتع بحقوق الإنسان والحريات الأساسية"[٥٥]، وتعرض لموضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين فأشار إلى استكفاء الأراضى الفلسطينية وعدم تحملها أكثر مما فيها[٥٦]. و أخذ هيكل يحذر من الأخذ بما أوصت به لجنة التحقيق من تقسيم فلسطين،وأشار إلى أن حدوث ذلك سيؤدى إلى إراقة الدماء فى العالم العربى كله لا فلسطين وحدها، حيث يهب المسلمون إلى نجدة إخوانهم الفلسطينيين كما يؤيد يهود الولايات المتحدة يهود أوربا وفلسطين، واختتم هيكل تحذيره قائلا : "إنى أقول لكم هذا ومازال فى الوقت فسحة، فإذا قررتم تقسيم فلسطين وأشعلتم نار حرب عنصرية، وكنتم السبب المباشر فى سفك دماء العرب فى فلسطين فستكونون عن طريق غير مباشر، السبب فى إراقة دماء اليهود فى الشرق الأوسط..." [٥٧].

ورغم كل هذا، فقد أقرت الجمعية العامة بجلستها المنعقدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مشروع تقسيم فلسطين وقيام الدولة اليهودية بأكثرية ٣٣ ضد ١٣ وامتناع ١١ دولة عن التصويت[٥٨]، وقد عقب هيكل على ذلك فى تصريحات له بعد عودته من نيويورك بمنافاة قرار التقسيم للقانون والمبادئ الأخلاقية حيث لم يحز على أغلبية ثلثى الأصوات المنصوص عليها فى ميثاق الأمم المتحدة، كما أنه ليس من حق الجمعية العامة تقسيم دولة واحدة إلى قسمين، فضلاً عما . مارسته الولايات المتحدة من الضغط على مندوبى الدول للاقتراع إلى جانب التقسيم[٥٩]، ورأى أن الشرق الأوسط فى ظل هذا القرار سيتحول إلى

---

(٥٤) محمد حسين هيكل، مصر فى هيئة الأمم المتحدة ١٩٤٧، تقرير عن أعمال الدورة العادية الثانية لهيئة الأمم المتحدة المعقودة بنيويورك (١٦سبتمبر- ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧)، ص ص ٥٢٤، ٥٢٥ .

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٥٢٧ .

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٥٣١ .

(٥٧) المصدر نفسه، ص ص٥٧٢ – ٥٧٧ .

(٥٨) محمد رفعت ، المرجع المذكور، ص ٤٠١ .

(٥٩) الإخوان المسلمون ، ١٩٤٧/١٢/٣ (قرار تقسيم فلسطين غير قانونى ومأساة أخلاقية).

بلقان أخرى من وجهة نظر الحرب والسلام[٦٠]. وفى ذات الوقت ذهب إلى ضرورة مساندة الحكومات والشعوب العربية لفلسطين والوقوف بجانبها حتى تظل عربية موحدة، مشيراً إلى ما فى تقسيم أراضيها من أذى يمتد أثره إلى البلاد العربية المجاورة لها[٦١].

وواصل هيكل اهتمامه بالقضية الفلسطينية، فحينما طرحت فكرة إنشاء إدارة مدنية عربية فى فلسطين تحت رعاية الجامعة العربية، أشار بعدم جدوى ذلك، وكانت وجهة نظره أن جامعة الدول العربية ليست لها شخصية دولية معترف بها، وبالتالى فإن الإدارة المدنية التى تشكل فى ظلها لا يكون لها فى نظر القانون الدولى وجود، واقترح تصحيحاً للأوضاع ما يلى: ١- أن يعلن بعض رجال فلسطين استقلال بلادهم ويصدرون تصريحاً بذلك. ٢- أن تعلن الدول العربية اعترافها بالدولة الفلسطينية دولة مستقلة ذات سيادة كما تعلن اعترافها بحكومتها. ٣- أن تطلب الحكومة الفلسطينية المعترف بها نجدة الدول الصديقة طلباً رسمياً تذكر فيه نوع المساعدة العسكرية والمالية المرجوة. ٤- إن الدول العربة بدخولها فلسطين عسكرياً سيكون لها وضع دولى صحيح مثل وضع القوات الأجنبية الموجودة فى كثير من الدول المستقلة برضا حكوماتها[٦٢]. وأثناء تواجد هيكل بالمؤتمر البرلمانى الدولى فى روما عام ١٩٤٨ راح يندد بالدول الكبرى ويلقى عليها بالمسئولية فيما سال من دماء بالأراضى الفلسطينية فى المعارك التى نشبت بين اليهود والعرب، كما حذر من سوء العاقبة إذا لم يلغ مشروع التقسيم[٦٣]. وعلى هذا النحو ظل موقفه من القضية .

كان هذا هو موقف هيكل من القضية الفلسطينية الذى اتسم فى بدايته بالحياد، ثم كان الميل نحوها وتأييدها، ذلك التأييد الذى أخذ يزداد تدريجياً مع تطور الأحداث وتفاقمها على أرض فلسطين ونمو التيار العربى فى مصر.

---

(٦٠) الأهرام، ١٩٤٧/١٢/٣ (تصريح لهيكل باشا فى لندن: فلسطين البلقان الثانية).

(٦١) السياسة، ١٩٤٧/١٢/٨ (خطاب الرئيس هيكل باشا فى جموع الشباب)، ١٩٤٧/١٢/١٥ (خطاب الموسم السياسى للرئيس هيكل باشا).

(٦٢) الخارجية المصرية، الأرشيف السرى الجديد، ملف ١٤٠ - ٤٨/ ٥-١، من هيكل إلى النقراشى، فى ١٣ مايو ١٩٤٨ .

(٦٣) المصرى، ١٩٤٨/٩/٧ (هيكل باشا يحمل على تقسيم فلسطين ويقول أن العرب ضحية فقدان الضمير العالمى)؛ البلاغ ، ١٩٤٨/٩/٨ (خطاب نافع فى ظرف عصيب)؛ المصرى، ١٩٤٨/٩/١١ (هيكل باشا يحذر من سوء العاقبة إذا لم يلغ مشروع التقسيم فى فلسطين).

ثانياً : النزاع المصرى - الحجازى (١٩٢٣ - ١٩٣٦) :

شهدت العلاقات المصرية الحجازية منذ بدايات عشرينيات القرن العشرين بعض الأحداث التى أثرت سلباً على تلك العلاقات، واستغرق ما ترتب عليها من آثار وقتاً ليس بالقصير لمعالجته، وكانت البداية فى عام ١٩٢٣ حينما رفض الشريف حسين ملك الحجاز دخول البعثة الطبية المصرية الأراضى الحجازية مع موكب المحمل لأداء فريضة الحج بحجة الخشية - كما قيل فى البداية - على استقلال بلاده، ولما كان هيكل مراقباً للأحداث آنئذ من خلال عمله بصحيفة السياسة، فقد كتب منتقداً هذا التصرف من ملك الحجاز، واعتبره تصرفاً غير طبيعى، كما طالب الدول الإسلامية بضرورة التحرك ووضع نظام لحماية الأماكن المقدسة وتيسير الحج إليها(٦٤). وعندما وضح بعد ذلك أن ما قام به الشريف حسين كان وسيلة للمطالبة بما يدعيه من حقوق لبلاده فى الأوقاف الخيرية المصرية*، أشار هيكل إلى أن هذه الأموال ليست حقاً لحكومة الحجاز، وأن الحكومة المصرية حرة فى إعطائها لمن تشاء، وعاد هيكل للمطالبة بعقد مؤتمر إسلامى للتوصل إلى قرار من أجل تأمين طريق الحج، كما رأى قيام حكومتى مصر والحجاز - إلى أن يعقد المؤتمر المذكور - بتعيين مندوبين عنهما لوضع اتفاق نهائى لقضية المسائل المتنازع عليها بين البلدين حتى يتيسر للمحمل استئناف العودة إلى الحجاز(٦٥).

وقد حدث أن ساءت العلاقات بين الملك فؤاد وعبدالعزيز بن سعود سلطان نجد، وسبب هذا يرجع إلى نقض الأخير عهده بشأن مصير الحجاز، وقصة ذلك هى أنه فى سبتمبر ١٩٢٥ أرسل الملك فؤاد إلى ابن سعود مندوبين من قبله - هما الشيخ المراغى رئيس المحكمة العليا الشرعية وعبدالوهاب طلعت أحد موظفى السراى الملكية - للوساطة فى إنهاء الحرب التى بدأها سلطان نجد مع الحجاز للاستيلاء عليه من الشريف حسين، غير أن ابن سعود اعتذر عن قبول تلك الوساطة، لكنه أبلغ المندوبين المصريين توكيله لملك مصر فى دعوة مندوبين عن العالم الإسلامى للنظر فى أمور الحجاز بعد تمام السيطرة عليه، ومنها إجراء استفتاء عام لاختيار حاكم له تحت إشراف ممثلى المسلمين. وبعد أن تمت

---

(٦٤) السياسة، ١٩٢٣/٧/١٠ (الحج والحكومة الحجازية).

* يذكر أن هذا لم يكن السبب الحقيقى لرفض الملك حسين دخول البعثة الطبية المصرية أراضيه. عن تفاصيل ذلك راجع : مديحة أحمد درويش، العلاقات السعودية المصرية ١٩٢٤ - ١٩٣٦، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص ٩٢ .

(٦٥) السياسة، ١٩٢٣/٩/١٧ (الخلاف بين مصر والحجاز). كانت الحكومة المصرية على أثر ما حدث من خلاف حول تواجد البعثة الطبية مع المحمل بالحجاز قد استدعت المحمل للعودة إلى مصر دون إتمام مناسك الحج. مديحة أحمد درويش، المرجع المذكور، ص ٩٣ .

السيطرة لابن سعود على الحجاز عقب استسلام جدة آخر مدنه فى ٢٠ ديسمبر ١٩٢٥ أعلن بعد أربعة أيام عن عقد مؤتمر يشترك فيه المسلمون للنظر فى مستقبل الحجاز ومصالحه، لكنه مالبث فى ٧ يناير ١٩٢٦ أن أصدر بلاغاً يعلن فيه عدوله عن فكرة المؤتمر ،لعدم تلبية قادة المسلمين لما سبق أن وجهه من دعوة لهم، كما بايعه فى ذات اليوم أهل الحجاز ليكون ملكاً عليهم، وبرر هذا بأنه كان نزولاً على إرادتهم(٦٦). وقد أغضب ذلك الملك فؤاد واعتبر هذا التصرف من ابن سعود نقضاً لما وعد به(٦٧)، ومن ثم كان رفضه الاعتراف بالوضع الجديد لابن سعود فى الحجاز(٦٨).

وكان هذا الخلاف بين الملك فؤاد وابن سعود مقدمة لكثير من مظاهر الخلاف الأخرى بين مصر والحجاز وسبباً فى تعثر حل أغلبها لفترة طويلة، كالخلاف حول المحمل وكسوة الكعبة، والتكية المصرية، وملكية جزيرتى تيران وصنافير الموجودتين فى مدخل خليج العقبة، والبعثة الطبية المصرية عامى ١٩٢٨، ١٩٣٠، والقنصلية المصرية فى جدة(٦٩).

وإدراكاً لما يترتب على استمرار الخلاف من الإضرار بمصالح مصر والحجاز، فقد ارتفعت فى مصر الأصوات الداعية إلى إزالة أسباب هذا الخلاف، وكان لهيكل مساهمته فى تلك الدعوة، إذ طالب حكومة الوفد عام ١٩٢٨ بالاعتراف بالحكومة الحجازية أسوة بدول أوربا التى اعترفت بها، فضلاً عما يؤدى إليه هذا الاعتراف من التمهيد إلى تسوية المسائل المعلقة بين مصر والحجاز والتى لا يمكن تسويتها بدونه(٧٠)، وذلك على أثر تصريح النحاس فى مجلس النواب فى ١٧ أبريل من العام المذكور باهتمام الوزارة بمسألة الاعتراف

---

(٦٦) حافظ وهبة،جزيرة العرب فى القرن العشرين، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، ص ص ٢٦٨- ٢٧١ .

(٦٧) فوزى أسعد نقيطى، العلاقات المصرية - السعودية ١٩٣٧ - ١٩٦٧، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ٢٠٠٠، ص ٤٤ .

(٦٨) مديحة أحمد درويش، المرجع المذكور، ص ٢٣٧ .

(٦٩) عن تفاصيل مسألة المحمل والكسوة انظر : نبيه بيومى عبدالله، تطور فكرة القومية العربية فى مصر، ص ص ١٢٠ ، ١٢١ . وعن المسائل الأخرى انظر : مديحة أحمد درويش، المرجع المذكور، ص ص ٣٤٦ - ٣٦٤ .

(٧٠) السياسة، ١٩٢٨/٤/١٨ (حكومة الحجاز متى تعترف الحكومة المصرية بها).

بحكومة الحجاز[٧١]. وكرر نفس هذا الطلب فى عهد حكومة إسماعيل صدقى عامى ١٩٣٠، ١٩٣١ فى أكثر من مناسبة تتعلق بهذا الشأن[٧٢].

وكما كان لهيكل مساهمته فى الدعوة لإزالة أسباب الخلاف، فقد كان له أيضاً دوره فى العمل على إعادة العلاقات وعقد معاهدة الصداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية* فى مايو ١٩٣٦[٧٣]، وذلك بما أجراه من محادثات - وكان قد سافر إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج فى العام المذكور- مع المسئولين بالحكومة السعودية والملك ابن سعود فى هذا الشأن[٧٤]، كما أنه لم يتوان بعد عقد المعاهدة عن مطالبة الحكومة المصرية بالعمل على سرعة الاتفاق بشأن المسائل المعلقة التى لم يتم الاتفاق عليها -ومنها كسوة الكعبة والمحمل - وبيان ما فى ذلك من زيادة الروابط وتوثيق الصلات بين مصر والمملكة العربية السعودية[٧٥]، وبالفعل قامت الحكومة بتسوية تلك المسائل فى نوفمبر ١٩٣٦، وهو ما حدا بهيكل لأن يتوجه إليها بالشكر أثناء مناقشة مجلس الشيوخ لمشروع الرد على خطاب العرش بجلسته المنعقدة فى ٧ ديسمبر ١٩٣٦[٧٦]، وكان قد أصبح عضواً بالمجلس منذ مايو من العام المذكور. هكذا كان اهتمام هيكل بتسوية الخلافات وإعادة العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية.

---

(٧١) مجلس النواب، الهيئة النيابية الثالثة، دور الانعقاد العادى الثالث، الجلسة السابعة والأربعون، ١٩٢٨/٤/١٧، ص ٧١٣ .

(٧٢) السياسة، ١٩٣٠/٤/١٥ (علاقات مصر والحجاز والكلام بشأنها فى مجلس النواب)؛ محمد حسين هيكل وإبراهيم عبدالقادر المازنى ومحمد عبدالله عنان، المرجع المذكور، ص ص ١١٥ - ١١٧ .

*تغير اسم سلطنة نجد ومملكة الحجاز منذ عام ١٩٣٢ إلى المملكة العربية السعودية.

(٧٣) عن نصوص هذه المعاهدة انظر : معاهدة صداقة بين المملكة المصرية والمملكة العربية السعودية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٦، ص ص ١-٣؛ محمود عزمى، الأيام المائة. على هامش التاريخ المصرى الحديث، عهد وزارة على ماهر باشا، ٣٠ يناير - ٩ مايو ١٩٣٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٩، ص ص ١٠٣، ١٠٤ .

(٧٤) محمد حسين هيكل، فى منزل الوحى، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧، ص ص ١٥٦، ١٥٧؛ مذكرات فى السياسة المصرية، جـ١، ص ص ٣٢٩ - ٣٣١ .

(٧٥) الجهاد، ١٩٣٦/٥/٣١ (تعمير الأماكن الإسلامية المقدسة، مذكرة ومقترحات مقدمة للحكومة المصرية من الدكتور محمد حسين هيكل)؛ السياسة، ١٩٣٦/٩/٢٤ (المسائل المعلقة بين مصر والحجاز بعد تبادل العلاقات الرسمية بين الدولتين).

(٧٦) مجلس الشيوخ، دور الانعقاد العادى الثانى عشر، الجلسة الثانية، ١٩٣٦/١٢/٧، ص ٤٠ .

ثالثاً : الاعتداء الفرنسى على سوريا ولبنان (مايو ١٩٤٥) :

كانت فرنسا قد حاولت فى مايو عام ١٩٤٥ استرداد نفوذها فى سوريا ولبنان بعد حصولهما على الاستقلال عام ١٩٤١، ولما فشلت فى ذلك أمام تمسك البلدين بحقهما لجأت **إلى القوة فضربت قواتها سوريا ولبنان بمدافع الهاون وقنابل الطائرات**(٧٧).

لقد كان لهيكل موقفه من هذا الاعتداء الآثم، فعند عرض مشكلته على مجلس جامعة الدول العربية لبحثها وإيجاد حل لها، أشار بضرورة تمثيل سوريا ولبنان وجامعة الدول العربية فى أى مؤتمر دولى يعقد لحل المشكلة، كما رأى الإعلان عن أن أهداف الجامعة هى نفسها أهداف الدولتين موضع الاعتداء من حيث الاستقلال والسيادة(٧٨). هذا وقد وافق مع مجلس الجامعة على ما انتهى إليه من قرارات لعلاج الموقف والتى تتلخص فى : تحميل الحكومة الفرنسية مسئولية ما وقع من تخريب وخسائر نتيجة الاعتداء، وتأييد طلب سوريا ولبنان الجلاء العاجل للقوات الأجنبية الموجودة على أرضيهما، فضلاً عن اتخاذ التدابير اللازمة لدفع الاعتداء وتحقيق أغراض البلدين(٧٩).

أما فيما يختص بموقف هيكل من المغرب العربى، فالواقع أن رؤيته لأحداث تلك المنطقة غير واردة ماعدا ما سجل له من تنديده بموقف فرنسا وسياستها إزاء شعوب شمال أفريقيا(٨٠)، وكذا معارضته اقتراح وصاية إيطاليا -وكانت قد هزمت فى الحرب العالمية الثانية - على ليبيا تحت إشراف الأمم المتحدة، وذهابه إلى أن تكون مصر وجامعة الدول العربية هى صاحبة الإشراف إذا أريد وضع المستعمرات الإيطالية السابقة تحت الوصاية(٨١).

هذه هى الرؤية العربية لدى هيكل، بدأت ضعيفة خلال فترة العشرينيات، ثم أخذت تقوى تدريجياً مع ما كان يشهده التيار العربى فى مصر من نمو وتطور حتى وصلت أوجها منذ منتصف الأربعينيات كما وضح من خلال موقفه تجاه القضايا العربية وبخاصة قضية فلسطين التى حازت على نصيب الأسد من توجهاته العربية، وقد كان ذلك وضعاً طبيعياً، وأخيراً كان الفتور الذى اعترى تلك الرؤية فى جانبها السياسى مع بداية الخمسينيات.

---

(٧٧) جامعة الدول العربية، دور الاجتماع العادى الأول، الجلسة الأولى، ١٩٤٥/٦/٤، ملحق رقم ٢، ص ٢١؛ محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، جـ٣، ص ٢١ .

(٧٨) جامعة الدول العربية، دور الاجتماع العادى الأول، الجلسة الثانية، ١٩٤٥/٦/٥، ص ٤٠ .

(٧٩) المصدر نفسه، الجلسة الرابعة، ١٩٤٥/٦/٧، ص ٦٨ .

(٨٠) مصر الفتاة، ١٩٤٩/٥/١٦ (هيكل باشا يحمل على الاستعمار الفرنسى).

(٨١) المصرى، ١٩٤٨/٩/١١ (هيكل باش يحذر من سوء العاقبة إذا لم يلغ مشروع التقسيم فى فلسطين).